

الخيل العربية عبر التأريخ

الدكتور : نوري جعفر

ـ ١ ـ

الخيل جمع الفرس ـ على غير لفظها ـ والفرس تطلق على الذكر [الذي يقال له احياناً حصان بكسر الحاء تمييزاً له عن حصان بفتح الحاء وهي صفة للمرأة المحصنة العفيفة] . كما نطلق ايضاً على الانثى (التي يقال لها احياناً حِجرٌ بكسر الحاء وسكون الجيم) . وتجمع فرس على افراس ، فيقال « ثلاثة أفراس » للذكر و« ثلاث أفراس » للانثى . والفعل فرُس (بفتح الفاء وضم الراء) فراسة وفروسية وفروسة بمعنى حذق في أمر الخيل . والفارس (جمعه الفرسان والفوارس) راكب الفرس وصاحب الفرس .

وفوارس ـ جمع فارس ـ شاذ لا يقاس عليه لان « فواعل » انما هو جمع فاعلة كضاربة وضوارب . او جمع فاعل (صفة لمؤنث) كحائض وحوائض . او صفة او أسماً لغير الآدمي : كحائط وحوائط . فأما مذكر من يعقل فلا يجمع عليه إلاّ فوارس وهوالك (جمع هالك) ونواكس (جمع ناكس) .

والخيل تعني الفرسان أيضاً . ومنه قوله تعالى « واجلب عليهم بخيلك ورِجْلك » ـ بكسر الراء وسكون الجيم ـ اي بفرسانك ورجّالتك ـ بفتح الجيم مع تشديدها .

وورد في لسان العرب مادة خيل مايلي :

الخيل الفرسان وفي المحكم جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه . قال أبو عبيدة واحدها خائل لأنه يختال في مشيته . قال ابن سيدة : وليس هذا بمعروف . وفي التنزيل : واجلب عليهم بخيلك ورَجْلِك : اي بفرسانك ورجّالتك . والخيل الخيول . وفي الحديث : يا خيل الله اركبي . قال ابن الأثير : هذا على حذف المضاف . اراد يا فرسان خيل الله اركبي . وهذا من أحسن المجازات والطفها . وقول أبي ذؤيب :

فتنازلا وتواقفت خيلاهما
وكلاهما بطل اللقاء مُخدَّعُ

وقوله : بطل اللقاء : أي عند اللقاء . والجمع اخيال وخيول . الأوّل عن ابن الأعرابي . والأخير أشهر وأعرف . وقالوا الخيل أعلم من فرسانها : يُضربُ للرجل تظن أن عندهُ غَناء أو أنه لا غَناء عنده فتجده على ما ظننت . والخَيالة أصحاب الخيول .

والخيل العربية ـ التي هي موضوع هذا الحديث الموجز ـ نمط خاص من الخيل ينفرد بمزايا نوعيّة خاصّة تميّزهُ عن سائر الخيل في شتّى أرجاء المعمورة .

وجاء في التنزيل « ووهب لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب . اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد » : الصافنات جمع الصافنة من الخيل ـ وهي التي تقوم على ثلاثة قوائم وترفع احدى يديها حتّى تكون على طرف الحافر ، يُقال :

صفنت الخيل اذا وقفت كذلك . قال الشاعر :

أَلِفَ الصفون فلا يزال كأنّه
ممّا يقومُ على الثلاث كسيرا

والجياد جمع الجواد . والياء ههنا منقلبة عن واو . والأصل جواد : وهي السراع من الخيل كأنها تجود بالركض . والعرب تسمي الخيل الخير . وسمّى الرسول الأعظم زيد الخيل : زيد الخير .

ـ ٢ ـ

تنفرد الخيل العربية بجمال المنظر وتناسق الأعضاء ورشاقة الجسم وبالقوام الممشوق وبأذنين صغيرتين انيقتين وبخصر رشيق ممتد تشبهه العرب بوسط الجرادة وبعنق شامخ يكسوه شعر مسترسل ناعم الملمس وبعينين جذابتين واسعتين وبوجه صغير أخّاذ وبمنخرين واسعين وذيل طويل مرتفع بشموخ كأنّ البحتري كان يعنيه بقوله « اولهُ ذنبٌ مثلُ الرِّشاء يجرُّهُ » وبجبهة مرتفعة وممتدة الى الأعلى والأمام وبقوائم صلبة مستقيمة . كما تتصف بصوتها الموسيقي اثناء الصهيل وبحدّة السمع والبصر وسرعة الجري ولن تبلغ حدّ الطيران .

قال جرير :

وطَوَى الطرّاد مع الضياء بطونها
طيَّ التّجار بحضرموتَ برودا

وقال أبو الطيب المتنبي :

وخيلاً تَغتَذي ريحَ النواصي
ويكفيها من الماء السَّرابُ

وقال أيضاً :

وجُرداً مَددنا بين آذانها القنا
فَبِتْنَ خِفافاً يَتَّبعنَ العواليا
تماشىٰ بأيدٍ كلمّا وافتِ الصَّفا
نَقَشْنَ به صَدْرَ البُزاة حوافيا
ويَنْظُرنَ من سودٍ صوادقَ في الدُّجى
يَرَيْنَ بعيداتِ الشُّخوصِ كما هيا
وتَنْصِبُ للجِرْسِ الخَفيِّ سوامعاً
يَخَلْنَ مناجاةَ الضمير تناديا
تُجاذِبُ فُرسانَ الصباح أَعِنَّةً
وكأنَّ على الأعناق منها افاعيا
بعزمٍ يَسير الجسمُ في السَّرْج راكباً
به ويسير القلبُ في الجسم ماشيا

والعرب تستحسن من الفرس دقة الأذنين وطولهما . وانتصابهما ودقة أطرافهما وقرب ما بينهما . وتستحسن أيضاً في الناصية اعتدال الشعر في الطول بحيث لا تكون خفيفة الشعر ولا مفرطة في كثرته . ويستحبون عظم الرأس وطوله وسعة الجبهة واسالة الخد وملاسته ودقته وقلة لحم الوجه . وفي العينين السمو والحدة ورقة الجفون وبعد النظر . وفي المنخرين السعة وفي الفم الهرث (طول شق شقيه من الجانبين) ورقة الجحظتين (الشفتين) وطول اللسان . وصفاء الصهيل وارتفاع الكتفين والكاهل وعرض الصهوة (مقعد الفارس) واستواء الكفل واستدارته وطول السبيب (الشعر المسترسل في الذيل . وان تكون أطراف سنابكه (مقدم الحوافر) رقيقة واتساع اهابه « جلده » وصفاء لونه ولين شعره وكثرة عرفه وسعة خطوه وخفة عنانه ولين ظهره وخفة وقع قوائمه في الأرض اذا مشى وشدة وقعه اذا عدا مع حدّة نفسه وسرعة عدوه .

ومزيّة اخرى من مزايا الفرس العربي التي ينفردُ بها ـ او فضيلة في الحقيقة ـ هي عفّته الجنسية . ويروي ثقاة المعنيين بدراسة الخيل العربية التي وردت اسماء بعضهم في هذا الحديث الموجز حوادث مثيرة عن عفّة الفرس العربي يتعذر تصديقها في كثير من الأحيان . من ذلك قولهم : إنّ بعض الناس اراد ان يحمل فرساً له على امّ ذلك الفرس فسترها بثوب حتّى نزا عليها . فلمّا رفع الثوب ورآها نفر وألقى نفسه في بعض الأودية فهلك .

ولابدّ من الاشارة هنا الى أنّ الصفات التي ذكرناها قد لا تتوافر جميعها بالضرورة في كل فرس عربي . فهناك فروق فرديّة معروفة بين جميع أصناف الكائنات الحيّة . والخيل العربية ـ من هذه الناحية تخضع لهذا القانون على وجه العموم .

ـ ٣ ـ

لاشك في أن طبيعة الحياة ـ الاجتماعية والجغرافية ـ في شبه جزيرة العرب لاسيما بواديها استلزمت نشوء روابط وثيقة بين العربي وبين الفرس والسيف والجمل والبادية . وقد عبَّرت تلك الروابط عن نفسها بنشوء صفات جسميّة (وأخلاقية اذا جاز هذا التعبير بالنسبة للبادية) في القوام والأناقة (كما يلاحظ ذلك مثلاً بين الفتاة العربية وبين الناقة والفرس من جهة وبين الفتى العربي وبيّن السيف والجمل والحصان من جهة اخرى) . وقديماً قال أبو الطيب المتنبي :

حُسْنُ الحضارة مجلوبٌ بتَطْرِيَةٍ
وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوبِ

وقد أدَّت تلك الروابط ـ من بين امور كثيرة أُخَر ـ الى أَناقة لغة التعبير عند العرب . وهذه امور على جانب كبير من الأهميةّ لم يُوَّفها حقها المختصون بدراسة المجتمع العربي القدامى والمحدثون من العرب وغير العرب على ما نظن : لعلّ فرصة مؤاتية تُتاح لنا في المستقبل غير البعيد للتصدي لبحث معالمها الكبرى بالأقل .

ـ ٤ ـ

تتبوأ الخيل العربية مكانة مرموقة ومعروفة عند العربي . وقد حصل ذلك عبر التاريخ بفعل عوامل موضوعية وذاتية : جغرافية واجتماعية معروفة لا يعنينا هنا أمر الدخول في تفاصيلها بل نكتفي بمجرد الاشارة اليها برغم اهميتها .

قال دريد بن الصمّة لأبي النصر : اني رأيت منكم خصالاً لم ارها من أحد من قومكم : إني رأيت ابنيتكم متفرقة ونتاج خيلكم قليلاً وسرحكم يجيء معتماً وصبيانكم يتضاغون من غير جوع . قال : أجل : أماً قلة نتاجنا فنتاج هوازن يكفينا . وأما تفرق بيوتنا فللغيرة على النساء . وأما بكاء صبياننا فإنا نبدأ بالخيل قبل العيال . ومن شدّة محبّة العرب للخيل كان اشرافهم يخدمونها بأنفسهم ولا يتكلون في القيام بخدمتها على أحد ، وكان أحدهم اذا املق استغنى عن اشياء عزيزة كثيرة إلاّ الفرس فانه يعنى به .

قال المتنبي : « أعَزُّ مكان في الدنا سرج سابح » وقد الّف العربُ في الخيل كتباً تتعذرُ الاحاطة بها وردت اسماء بعضها في فهرست ابن النديم . كما وصفها الشعراء بقصائد من المتعذر الالمَام بها . وكثير منها جيد لعلّ أجوده مقصورة ابن دريد .

وكان العرب يجلبون خيلهم الى المسابقة من كل مكان . ومحل المسابقة يسمى عند العرب الحَلْبة : الدفعة من الخيل في الرهان . وموضع المسابقة يُسمّى المضمار .. والمدى : غايته . ويجعلون في آخر المدى الشيء الذي وقع عليه الرهن على رؤوس قصب الرماح . ومن ذلك قولهم (وحاز فلان قصب السبق) . وتحضر المسابقة الأشراف والامراء . وكانوا يرسلون خيلهم عشرة عشرة . ولكل واحد من هذه العشرة اسم مختص به .

قال الاصمعي : اوّلها المجلّي . ثم المصلّي ثم المسلّي ثم التالي ثم المؤمل ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظي ثم اللطم ثم السكيت : وهو الذي يأتي آخر الخيل في الحلبة . وقال بعضهم : المحفوظ عن العرب : السابق ثم المصلي والسكيت الذي هو العاشر . والسابق هو الأوّل ـ وهو المجلي والمبرز ايضاً ـ . وسائر ما ذكرها الاصمعي من الأسماء فان بعض الحفاظ من أهل اللغة قال :

أراها محدثة .

ورد في الاغاني أنّ يزيد بن عفان قال :

كنا وقوفاً .. وقد اجرى المهدي الخيل ، فسبقتها فرس له يقال له : الغضبان ، فطلب المهدي الشعراء . فلم يحضر أحد منهم إلاّ ابو دلامة . فقال له المهدي : قلده يا زند . فلم يفهم ابو دلامة ما أراد المهدي . فقلده عمامته . فضحك المهدي وقال : يا ابن اللخناء انا أكثر عمائم منك . وإنّما أردت ان تقلده شعراً . ونُقِل أيضاً أنّ هرون الرشيد أجرى الخيل . فجاءه فرس يُقال له : المشمر سابقاً . وكان الرشيد معجباً بذلك الفرس . فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ومنهم ابو العتاهيه الذي انشد شعراً ظريفاً .

قال زيد الخيل :

بجيشي تَضلُّ البُلْق في حُجُراته
ترى الأكم فيه سُجَّداً للحوافر

ومن طريف ما يُروى ـ في هذه المناسبة ـ انّ ليلى بنت عروة بن زيد الخيل سألت أباها : كم كانت خيل أبيك ؟ قال : اللّهم لا أعرف إلاّ فرسه .

وذكر الرواة أنّ امروء القيس وعلقمة تنازعا بالشعر : ايهّما أشعر . فقال كل واحد منهما أناأشعرُ منك . فقال علقمة رضيت بامرأتك أم جندب حكماً بيني وبينك .. فحكمّاها . فقالت لهما قولا شعراً .. تصفان فيه فرسيكما من قافية واحدة ورويّ واحد . فأنشداها . فقالت لأمريء القيس علقمة أشعر منك ، فقال : ما هو بأشعر مني لكنك له عاشقة . وطلّقها ، فتزوجها علقمة وسمي علقمة الفحل .

وقد استأثرت الخيل بنصيب وافرٍ في الأدب العربي المنظوم والمنثور . وأكثر الشعراء من وصفها لعل ابرزهم ـ وهم كثيرون ـ ابو دؤاد الايادي والطفيل الغنوي والنابغة الجعدي . يضاف الى ذلك مقصورة ابن دريد المشهورة .

والعرب تُعنى بانساب الخيل بقدر ما تُعنى بانسابها . قال محمد بن السائب في كتابه الممتع « أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها » إن العرب كانت « ترتبط الخيل ـ في الجاهلية والاسلام معرفة بفضلها وما جعل الله تعالى فيها من العز وتشرفاً بها . وتصبر على المخمصة واللأواء (شدة العيش وضيقه) وتحضنها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد وتفتخر بذلك في اشعارها وتعتد لها . فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة فضلها حتّى بعث الله نبيه عليه السلام فأمره الله اتخاذها وارتباطها فقال : « وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم » . واتخذ الرسول عليه السلام الخيل وارتبطها وأُعجب بها وحضّ عليها وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنيمة اثناء الجهاد في سبيل الله ، وفضلها في السُّهمان (بتشديد السين المضمومة : جمع السَّهم بمعنى النصيب أو الحصة) على أصحابها . فجعل للفرس سهمين ولصاحبه سهماً . وللراجل سهماً واحداً ؛ مع ان الفارس « صاحب الفرس : او الممتطي صهوتها » هو الذي يجيد استخدامها في الحرب . قال ابو الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة :

يفدّي أَتَمُّ الطَّير عمراً سلاحه
نسورُ الفلا أَحداثُها والقشاعِمُ
وما ضَيرها خلقٌ بغير قوائمٍ
وقد خُلقتْ اسيافُه والقوائم
تدوس بك الخيلُ الوكورَ على الذُّرىٰ
وقد كَثُرتْ حول الوكور المطاعم

ومع علم الرسول الأعظم ـ بالطبع ـ انّ الفارس هو الذي يستخدمُ السلاح على أفضل وجه اثناء النزال :

وما السيف إلاّ آلةٌ خَلْفَها يدٌ
وخلفهما عزمٌ يهمّ ويضربُ

ومع ذلك فقد فضل ـ وهو على حق ـ الفرس في القسْم على راكبه .

قال الرسول الكريم « الخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيامة » . وقد اقتنى الرسول الخيل وذكر الرواة اسماء خمسة منها : الظَّرِب (بتشديد الظاء المفتوحة وكسر الراء) ولِزاز (بكسر اللام) والسَّكْب (بتشديد السين المفتوحة وسكون الكاف) والمُرتَجَز (بفتح التاء والجيم) واللُّحَيض (بتشديد اللام الأولى المضمومة وفتح الحاء) .

وقال الجاحظ ـ في كتاب الحيوان ـ « ولا نعرفُ شيئاً في الجواد اشرف اسماً من الخيل : لأنّهم يقولون : فرس جواد ، وفرس كريم ، وفرس وسيم ، وفرس رائع ... » .

ومن طريف ما رواه الجاحظ (عن الفرس اثناء القتال) في كتاب الحيوان : « ونحن لا نشك أنّ للفرس تحت الفارس غَناء في الحرب لا يشبهه غَناء . ولذلك فُضّل في القَسْم . وإنّما ذلك بتصريف راكبه له وقتاله عليه » . وقال أيضاً « ولعمري أنا نفهم عن الفرس كما نعلم ارادة الصبي . ونعلم ـ وهو من جليل الفهم ـ ان بكاءه يدل على خلاف ما يدل عليه ضحكه . وحَمحمة الفرس عند رؤية المخلاة على خلاف ما يدل عليه حمحمته عند رؤية الحِجْر » . والخيول العتاق ربما قتلت الفرسان بالحِران مرةً وبالأقدام مرة . وبسوء الطاعة وشدة الجزع . وربما شبّ الفرس بفارسه حتى يلقيه بين الحوافر والسيوف للسهم يصيبه والحجر يقع عليه .

وقال المتنبي مخاطباً نفسه اثناء مدحه فاتكاً :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ
فليسعِد الظَّنُّ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ
وإنْ تكن محكَماتُ الشكل تمنعني
ظهورَ جريٍ فلي فيهنَّ تَصْهالُ

وذكرت الرواة أن أبا عبيدة ـ معمر بن المثنى ـ دخل يوماً على الرشيد ـ وكان الأصمعي في المجلس ـ فقال الرشيد : بلغني ـ يا أبا عبيدة ـ أنك صَنَّفت كتابةً حسناً في صفة الخيل احب ان اسمعه منك . فانبرى الاصمعي وقال : ما تفعل بالكتاب ـ يا أمير المؤمنين ـ !! تأمرون باحضار فرس ونبدأ بتسمية كل عضو من اعضائه ونشير الى موقعه في جسمه .

فأمر الرشيد أحد غلمانه بأحضار فرس . وبدأ الاصمعي يسمي كل عضو من اعضائه ويشير بيده اليه ويقرأ ما قيل فيه من شعر الى ان انتهى ... فقال الرشيد : ما تقول في هذا يا معمر ؟ قال : معمر :

إن الاصمعي ـ يا أمير المؤمنين ـ اصاب في بعض وأخطأ في بعض آخر . والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به .

وقد دوَّن كل من الرجلين معرفته بالخيل في كتاب خاص (وان كان بعض النسّاخ قد خلط بينهما فظنهما كتاباً واحداً متشابه موضوعهما) . وأبو عبيدة خبير متضلعّ بالخيل ، فكان يقول : ما التقى فرسان في الجاهلية او الاسلام إلاّ عرفتهما وعرفت فارسيهما . وقد تناول في كتابه اسماء عشرات الخيول وذكر اسماء اصحابها والقبائل التي تملكها واموراً كثيرة أُخَر من هذا القبيل . أمّا الأصمعي فكان كثير الاهتمام بالجانب اللغوي . واهتمام الأصمعي ـ بالجانب اللغوي ـ دليل على أن الخيل لم تستأثر بالشعر عند العرب ـ كما ذكرنا ـ وانما استأثرت أيضاً بجانب كبير من النثر .

ومنزلة الفرس العربي تتجلى ايضاً بحرصه الشديد عليه واعتزازه به وفخره بمآثره ومحافظته على أرومته وسلالته وتجشم الاهوال في تلقيحه بنده في مشهد كبير من النّاس . والمنزلة المشار اليها مازالت كذلك الى اليوم لدى بعض الأسر العربية كآل سعود وآل خليفة بصورة خاصة .

ومن مظاهر اعتزاز العرب بالفرس والجمل والسيف والصحراء خلعهم على كل منها اسماء كثيرة تتعذر الاحاطة بها .

قال أحدهم : « كنت بمجلس سيف الدولة وبالحضرة جماعة من أهل اللغة منهم ابن خالويه . فقال ابن خالويه : أعرف للسيف خمسين اسماً ، قال ابو علي فتبسمت وقلت :

ـ ما اعرف له إلاّ اسماً واحداً هو السيف .

قال : فأين المهند والصارم وكذا وكذا !!

قلت هذه صفات . وسواء أكانت هذه اسماء أم صفات فان للبادية مثلها وللجمل والفرس ربما أكثر من ذلك .

اما مظاهر الاعتزاز بالفرس العربي الأصيل خارج نطاق المجتمع العربي ذاته فقد اتضحت بنظرنا لدى باكريف عام ١٨٣٦ وكارماني ١٨٦٤ ولدى اللادي أن ١٨٨٠ وعند نولده ١٨٩٢ ومن بعده موسل ١٩٠٨ . ولدى طائفة كبيرة من الهواة تتعذر الاحاطة بأسمائهم . وبامكان المهتمين بهذا الموضوع استشارة + موسوعة الخيل التي سيأتي ذكرها او أي كتاب آخر يبحث في هذا الموضوع مثلاً :

AMME Alcock :
The lone of Horses
London Octopus Books 1973 .

ومن مظاهر الاعتزاز بالفرس العربي الاصيل خارج نطاق المجتمع العربي في الوقت الحاضر تكون جمعيات من هواة الخيل العربية الاصيلة في كثير من الاقطار في مقدمتها : المملكة المتحدة واسترالية وبلجيكا والدنمارك والاتحاد السوفيتي واسبانية والبرتغال والولايات المتحدة وبولونيا والمجر والبرتغال والسويد والمانية الغربية .

وقد تأسست من هذه الجمعيات منظمة او رابطة الفرس العربي عام ١٩٧٢ .

كما أنّ الاهتمام بالخيل العربية الاصيلة ادّى إلى عقد مؤتمرات دولية متعددة منها مثلا المؤتمر الدولي الأوّل الذي عُقد في لندن ١٩٦٧ والمؤتمر الدولي الثاني الذي عقد في لندن ايضاً عام ١٩٧٠ والمؤتمر الدولي الثالث الذي عُقد في اسبانية عام ١٩٧٢ .

ومن دلائل الاهتمام الاخرى صدور موسوعة الخيل التي احتلّ فيها الفرس العربي الاصيل موقعاً ممتازاً . وقد صدرت الموسوعة المشار اليها في لندن عام ١٩٧٦ :

حبذا لو اقتنتها مكتبة المتحف العراقي .

ومن دلائل الاهتمام الاخرى البحث في أصل الفرس العربي من الناحية النشوئية وظروف تدجينه وخصائصه المميزة .

وجول هذه الأمور بالذات ما زالت آراء العلماء متباينة ليس فقط بالنسبة للاصل النشوئي البايولوجي للفرس العربي وانما ايضاً فيما يتصل بالخيل على وجه العموم في شتى ارجاء المعمورة . كما ان الباحثين لم يتفقوا ايضاً على المرحلة الزمنية التي حدثت اثناء عملية التدجين . ومع ذلك فانّ اكثر النظريات انتشاراً في الوقت الحاضر هما :

النظرية التي يعتبر اصحابها Tarapan هو الأصل الذي تحددت منها الخيل بأنماطها المتعددة التي من بينها النمط الشرقي pna^ualki الذي تحدّدت الفرس العربي . وهذه مجرد ظنون لتعذر اجراء حفريات في شبه جزيرة العرب للتنقيب عن بقايا (مستماتات) الأصل الذي نتج عنه الفرس العربي لكون التربة رخوة لا تحتفظ بالعظام .

ومن الجدير بالذكر هنا ان فئة كبيرة من علماء التشريح الغربيين اجروا دراسات تشريحية مستفيضة للفرس العربي في السنوات القليلة الماضية للتعرف على خصائصه المميّزة بالنسبة للخيل غير العربية . وقد بلغ ولعهم في هذه الناحية ان أصدر بعضهم اكثر من كتاب في تشريح اجزاء معينة متفرقة من الفرس العربي مثلا قوائمه ممثلاً أو قوامه أو صهيله . مع العلم أنّ قدامى العرب وبخاصة في العهد العبّاسي قاموا بمحاولات من هذا القبيل كما أنهم ايضاً درسوا الأمراض التي تعتري الفرس العربي وتوصلوا الى اجراءات طبية معقولة ومقبولة بمقاييس اهل ذلك الزمان .

ـ ٥ ـ

ونودّ ان نختتم هذا الحدث الموجز بملاحظات أبداها الجاحظ في اماكن متفرقة من كتاب الحيوان :

قال الجاحظ بصدد منزلة الفرس بالنسبة لسائر الحيوانات : « لمّا كان الفرس عليه تقاتل الانبياء واتباع الانبياء ملوك الكفار واتباع ملوك الكفار حتى يقمع الله الباطل ويظهر الحق فلذلك قدّمناه على جميع البهائم والسباع . وانّما نقدمُهُ على الوجه الذي قدمّه الله فيه . » وقال في موقع آخر :

« واشراف السباع وساداتها وكبارها . ورؤساؤها ثلاثة : الكركدن والفيل والجاموس . ولعلّ بعض من اعتاد الاعتراض على الكتب يقول : وأين الفرس والأبل !!! وفيها خصال الشرف والمنافع والعناء في السفر والحضر وفي الحرب والسلم وفي الزينة والبهاء وفي العدّة والعتاد ما ليس في الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس . »

وبصدد جمال الفرس كتب الجاحظ :

« وانهم لما سموا جيش ابن الاشعث الذي خرج على الحجاج : الطواويس لكثرة من كان يجتمع فيه من الشبان المنعوتين بالجمال انّما قالوا ذلك لأن العامة لا تبصر الجمال . ولفرس رائع كريم احسن من كل طاووس في الارض . »

وبصدد بعض خصائص الفرس قال الجاحظ :

« يزعم ناسٌ من اصحاب الخيل ان الفرس ليس يضرب بيديه في الماء الصافي ليثوّرهُ لأن الماء الكَدِر أَحبٌ اليه .

وما هو إلاّ كالثور الذي يحبّ الماء الصافي ويختاره . ولكنّهُ اذا وقف على الماء الصافي رأى فيه ظلّه وظلّ غيره من الأشخاص فيفزعهُ ذلك . فلمعرفته بأن الماء الكدر لا تُتصَّور فيه الصور يضربُ يديه . هذا قول هؤلاء . وأمّا صاحب الظن وغيره ممن يدَّعي معرفة شأن الحيوان يزعم أنّ الفرس بالماء الكدر عُجباً منه بالماء الصافي . »

وقال ايضاً : « واعترض على اصحاب « فرس الماء » معترضون فقالوا .

الفرس لايكون إلاّ بهيمة . والبهائم لا تصيد ولا تأكل صيدها . وانّ طعام الفرس النبات وليس اللحم له بطعام .